٦٦

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام)

الشيخ باقر الدلفي

1446هـ - 2025م

سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام)

تعد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) واحدة من أبرز الشخصيات في تاريخ الإسلام، فهي ابنة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، وقرينة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأم الحسن والحسين (عليهما السلام). كانت السيدة الزهراء رمزًا للتقوى والطهارة، وتتميز بصفات نادرة من العفة والصدق والشجاعة في مواجهة التحديات التي واجهت أمتها في تلك الفترة.

من خلال هذا البحث، سنتناول الجوانب المختلفة لحياة السيدة الزهراء (عليها السلام)، بدءا من ولادتها ونشأتها، مرورا بمواقفها بعد رحيل والدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة حياة بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) فاطمة الزهراء (عليها السلام)

عندنا ثمانية مباحث بخصوص حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

المبحث الاول: ولادتها:

========

وُلدت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد بعثة والدها العظيم (صلى الله عليه وآله) بخمسة أعوام، وبعد حادثة الإسراء والمعراج بثلاث سنين، وقد بشّر جبريل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بولادتها وكان تاريخ ولادتها يوم الجمعة العشرين من شهر جمادى الآخرة في مدينة مكّة.

المبحث الثاني: في بيت الوحي:

=========

نشأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في أحضان الوحي والنبوة، في بيت مفعم بكلمات الله وآيات القرآن المجيد، سألتْ عائشةُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم عن سبب حبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة هذا الحبَّ العظيم، فلقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينهض إذا دخلت عليه فاطمة وكان يقبِّل رأسها ويدها.

فأجاب سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله): " يا عائشة لو علمتِ ما أعلم لأحببتيها كما أحبّ. فاطمةُ بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرّها فقد سرّني ".

وقد سمع المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وآله): " يقول إنّما سُمِّيتْ فاطمةُ فاطمةَ لأن الله عزّ وجل فَطَمَ من أحبّها من النار ".

كانت فاطمة الزهراء تشبه سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله) في خَلْقه وأخلاقه.

تقول أم سلمة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله): فاطمة أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت عائشة تقول: إنّها أشبه الناس برسول الله بحديثها ومنطقها. وكانت فاطمة لا تحب أحداً قدر حبّها لأبيها.

كانت ترعى أباها وعمرها ست سنين، عندما توفيت أمها خديجة الكبرى، فكانت تسعى لملء الفراغ الذي نشأ عن رحيل والدتها.

وفي تلك السنّ الصغيرة شاركت أباها محنته وهو يواجه أذى المشركين في مكّة.

كانت تضمّد جراحه، وتغسل عن ما يُلقيه سفهاء قريش، وكانت تحدّثه بما يُسلّي خاطره ويدخل الفرحة في قلبه؛ ولهذا سمّاها سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) أمَّ أبيها، لفرط حنانها وعطفها على أبيها (صلى الله عليه وآله).

المبحث الثالث: زواج فاطمة (عليها السلام):

==========

بلغت فاطمةُ سنَّ الرشد، وآن لها أن تنتقل إلى بيت الزوجية، فخطبها كثير من الصحابة في طليعتهم أبو بكر وعمر، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يردّ الخاطبين قائلاً: إنني أنتظر في أمرها الوحي، وجاء جبريل يخبره بأن الله فد زوّجها من علي.

وهكذا تقدم علي، والحياء يغمر وجهه، إلى خطبة فاطمة (عليها السلام).

فدخل رسول لله (صلى الله عليه وآله) على فاطمة ليرى رأيها وقال لها: (يا فاطمة إن علي بن أبي طالب من قد عرفْتِ قرابته وفضْله وإسلامه، وإني قد سألتُ ربّي أن يزوِّجكِ خيْرَ خلْقه وأحبَّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين "؟

سكتت فاطمة وأطرقت برأسها إلى الأرض حياء، فهتف رسول الله: " الله أكبر! سكوتها رضاها "، وقد تمّت مراسم العقد والزواج ببساطة تعكس سماحة الإسلام، فقد كان علي لا يملك من دنياه شيئاً غير سيفه ودرعه، فأراد أن يبيع سيفه، فمنعه رسول الله لأن الإسلام في حاجة إلى سيف علي، ولكنه وافق على بيع الدرع، فباعه علي (عليه السلام) ودفع ثمنه إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

المبحث الرابع: الأسرة المثال:

=========

الحياة الزوجيةُ اندماج لحياتين لتصبح حياةً مشتركة ... حياة واحدة.

حياة الأسرة تنهض على التعاون والمحبّة والاحترام.

كانت حياة علي وفاطمة (عليهما السلام) مثالا للحياة الزوجية الكريمة.

كان علي يساعد فاطمة في أعمال المنزل وكانت فاطمة تسعى إلى إرضائه وإدخال الفرحة في قلبه، كان حديثهما في منتهى الأدب والاحترام.

إذا نادى علي فاطمة قال: يا بنت رسول الله، وإذا خاطبتْه قالت: يا أمير المؤمنين. وكانا مثال الأبوين العطوفين على أبنائهما.

المبحث الخامس: الثمار

=======

في العام الثالث من الهجرة أنجبت فاطمة (عليها السلام) أول أولادها فسمّاه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) " الحسن "، وبمولده غمرت الفرحة قلب رسول الله، وهو يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في أذنه اليسرى ويغمره بآيات القرآن.

وبعد عام وُلد الحسين (عليه السلام)، أراد الله أن تكون ذرّية رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) من فاطمة (عليها السلام).

واحتضن الرسولُ سبطيه يحوطهما برعايته، وكان يقول عنهما: "هما ريحانتاي من الدنيا ". كان يحملهما معه إذا خرج أو يُجلسهما في أحضانه الدافئة.

دخل رسول الله ذات يوم منزل فاطمة وكان الحسن يبكي جوعاً وفاطمة نائمة، فأخذ إناءً وملأه حليباً وسقاه بنفسه '، ومرّ ذات يوم آخر أمام بيت فاطمة فسمع بكاء الحسين، فقال متأثراً: " ألا تدرون أن بكاءه يؤذيني "، ومرّ عام جاءت بعده " زينب " إلى الدنيا، وبعدها " أم كلثوم " ولعلّ رسول الله تذكّر ابنتيه زينب وأم كلثوم عندما سمّاهما بهذين الاسمين، وهكذا أراد الله أن تكون ذرية الرسول في ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ... ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم.

المبحث السادس: منزل فاطمة:

==========

بالرغم من حياتها القصيرة فقد كانت حافلة بالخير والبركات، وكانت قدوة وأسوة للنساء، فكانت الفتاة المثال والزوجة المثال، والمرأة المثال، ولهذا أصبحت سيدة نساء العالمين.

كانت مريم بنت عمران سيدة النساء في عصرها، وكانت آسية امرأة فرعون سيدة نساء زمانها، وكذلك كانت خديجة بنت خويلد.

أمّا فاطمة الزهراء فقد توّجها الإسلام سيدةً للنساء على مرّ العصور.

كانت قدوة في كل شيء... يوم كانت فتاة تسهر على راحة أبيها وتشاركه آلامه، ويوم كانت زوجة ترعى زوجها وتوفّر له سكناً يطمئن إليه ويلوذ به عندما تعصف به الأيام، ويوم كانت أمًّا تربّي صغارها على حبّ الخير والفضيلة والخلق الكريم، فكان الحسن والحسين وزينب (عليهم السلام) أمثلة سامية في دنيا الأخلاق والإنسانية.

المبحث السابع: رحيل الأب:

========

عاد رسول الله من حجة الوداع ولزم فراش المرض وغُشي عليه من شدّة الحمّى، وهرعت إليه الزهراء تحاول دفع الموت عنه وهي تذرف الدموع، وكانت تتمنى أن تموت هي بدلاً عنه.

فتح الرسول (صلى الله عليه وآله) عينيه وراح يتأمّل ابنته الوحيدة، فطلب منها أن تقرأ له شيئاً من القرآن، فراحت الزهراء تتلو القرآن بصوتٍ خاشع وكان الأب العظيم يصغي بخشوع إلى كلمات الله وهي تطوف في فضاء البيت.

أراد أن يقضي آخر لحظات عمره المبارك وهو يصغي إلى صوت ابنته التي رعتْه صغيرة ووقفتْ إلى جانبه كبيرة.

والتحق الرسول بالرفيق الأعلى وعرجت روحه الطاهرة إلى السماء.

كان رحيل الرسول صدمة كبيرة لابنته البتول ولم يتحمل قلبها تلك المصيبة، فراحت تبكي ليل نهار.

ثم وجهت لها السياسة والأطماع ضربة أخرى بعد أن اغتصبوا منها " فدكاً " وتجاهلوا حق زوجها في الخلافة.

حاولت الزهراء الدفاع عن حقّها وكان لها في ذلك مواقف غاية في الشجاعة.

كان الإمام يدرك أن استمرار الزهراء في معارضة الخليفة سيجرّ البلاد إلى فتنة، فتضيع كل جهود الرسول (صلى الله عليه وآله) أدراج الرياح ويعود الناس إلى الجاهلية مرّة أخرى.

طلب الإمام من زوجته العظيمة الاعتصام بالصمت والصبر، حفاظاً على رسالة الإسلام.

وهكذا سكتت الزهراء لكنها بقيت غاضبة وتذكّر المسلمين أن غضبها يعني غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغضب الرسول يعني غضبَ الله سبحانه.

سكتت الزهراء إلى أن رحلت عن الدنيا ولكنها طلبت في وصيّتها أن تُدفن سرّاً.

المبحث الثامن: الرحيل عن الدنيا:

=========

كانت فاطمة كشمعة تتوهج وتحترق وتذبل ثم يخبو نورها شيئاً فشيئا لم تستطع البقاء بعد رحيل أبيها وتنكّر الزمان لها، كانت أحزانها تتجدّد كلما ارتفع الأذان يهتف: أشهد أن محمداً رسول الله. كانت تريد اللقاء بأبيها وكان شوقها يستعر يوماً بعد آخر، وهزل جسمها ولم يعد يتحمل شوق روحها إلى الرحيل، وهكذا ودّعت الدنيا ودّعت الحسن بسنواته السبع والحسين بأعوامه الستة وزينب بسنواتها الخمس وأم كلثوم وردة في ربيعها الثالث، وكان أصعب ما في الوداع أن تودّع زوجها وشريك أبيها في الجهاد وشريك حياتها.

أغمضت الزهراء عينيها بعد أن أوصت زوجها بأطفالها الصغار، كما أوصته أن تدفن سرّاً.

وما يزال قبر الزهراء مجهولا، فترتسم علامة استفهام كبرى في التاريخ، ما تزال الزهراء تستفهم التاريخ، ما تزال تطلب حقها؛ وما يزال المسلمون يتساءلون عن بقاء القبر مجهولاً.

جلس الإمام المفجوع عند قبرها، وكان الظلام يغمر الدنيا فقال يؤبنّها:

(السلام عليك يا رسول الله... عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ورقّ عنها تجلّدي . . . وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال وأستخبرها الحال... والسلام عليكما سلام مودِّع ".

(السلام عليك يا سيدة النساء ورحمة الله وبركاته)